في الأدب الشرقي

الادب العربي والادب الفارسي

للأستاذ عبد الوهاب عزام

أستاذ الأدب الفارسي بكلية الآداب

٣

وكان من آثار هذا الاختلاط والتنافس ظهور الشعوبية من فرس وغيرهم ، وهم الذين قاموا يردون على العرب دعواهم في فضلهم على الأمم . ولم يقتصر الشعوبية أن يسووا أنفسهم بالعرب ، بل تمادى الجدل بهم الى تفضيل غير العرب عليهم . كان من الشعوبية غير الفرس . وكان من الفرس أنصار للعرب. ولكن النزاع كان في معظمه نزاعاً بين العرب والفرس خاصة . وقد تناضل الفريقان عن كثب ، وأرسلوا الكلام الى غاياته في غير تحرج .

فعلان الشعوبي الفارسي وهو نساخ في بيت الحكمة أيام الرشيد والمأمون ، كتب كتاب الميدان الذي هتك فيه العرب وأظهر مثالبها ، كما يقول ابن النديم . وسهل بن هارون صاحب خزانة الحكمة في عهد المأمون كان شديد العصبية على العرب ، وقد كتب رسالة في البخل وكأنه أراد بها الزراية بالجود الذي كان عمدة مفاخر العرب . وسعيد بن حميد بن البختكان لم يتحرج ، وهو على مقربة من الخلفاء ، أن يكتب كتاباً يسميه فضل العجم على العرب . وأشباه هؤلاء كثيرون . وقد استعر النزاع في الكتب عصوراً طويلة . وليس يسعنا أن نستقصيه الآن .

.....

بعد هذا كله نسأل السؤال الذي يفهم جوابه استنتاجاً مما تقدم : ما أثر الفرس في الآداب العربية ؟

مهما تحدث الناس عن النزاع بين العرب والفرس ، فان هذا النزاع لا يشرح لنا كل شيء . كان المتنازعون إما من الرؤساء ومن الذين حولهم ، وإما من الطامعين في الزعامة والمناصب . فأما العلماء أكثرهم فكانوا كدأبهم في كل زمان يعملون ولا تسمع أصواتهم ، وهم الذين تعاونوا على اغناء اللغة العربية بالكتب في شتى الفنون . فقد تقدم الفرس النجباء لحمل الأمانة العلمية منذ العهد الأموي وتابروا . فاذا هم المتقدمون في كل فن : في التفسير ، والحديث ، والفقه ، حتى علوم العربية من نحو وصرف وعروض . والآداب العربية نثرها ونظمها ، قديمها وحديثها ، وما عنوا بالكلام عن الفرس والعرب . وكانوا ينحرجون أن يخوضوا في هذا ، وكان حسبهم أن يبصروا الدين وعلومه . ولو كان لابد لهم أن ينحازوا الى أحد الفريقين لآثروا نصرة العرب تديناً وتقوى . وحسبنا أن نذكر هنا أمثال الحسن البصري ، والبخاري ، ومسلم ، والامام أبي حنيفة ، ومحمد بن جرير الطبري ، وابن قتيبة ، وابن فارس . على أن المتعصبين أنفسهم فد اتخذوا العربية لغتهم ، فلم يكن لهم بد من امتذادها بمعارفهم طوعا أو كرها . والحق ان كراهتهم للعرب لم تكن كراهة للغة العربية . وأصدق شاهد على هذا أبو عبيدة اللغوي : كان شعوبيا متعصبا على العرب ، وأصله يهودي فارسي ، وأنت تعلم ما أجدت مؤلفاته على اللغة العربية ، وما بذل من جهد لحفظها ورواية آدابها ، ومن هذه الآداب كتابه في مثالب العرب .

للفرس يد أخرى على الآداب العربية ، هي ترجمتهم ذخائر لغتهم الى اللغة العربية ترجمة حاذق قد اتخذ العربية من لغته بديلا . ولعل عصبيتهم حفزتهم الى هذا ليحفظوا آثارهم من الضياع وتقوم لهم الحجة بما يترجمون على فضل آبائهم ، وعظم حضارتهم . وقد بدأت هذه الترجمة — فيما يظن — أيام الخليفة هشام بن عبد الملك : ترجم جبلة بن سالم كاتب هشام سير ملوك الفرس ، ثم جاء زعيم المترجمين ابن المقفع ، وعبد الحميد بن أبان ، وآل نوبخت . وقد عد صاحب الفهرس أربعة عشر مترجما غير ابن المقفع وأسرة نوبخت .

والكتب التي ترجمت من الفارسية أقسام ثلاثة :

(١) كتب في الحكمة : وهذه ليست ذات خطر ، فانما هي فلسفة اليونان جاءت من طريق الفرس ، وكان العرب يأخذونها من مصادر خير من الفارسية .

(٢) كتب في التاريخ والقصص : مثل كتاب (خداى نامه) أو سير الملوك . وكتاب التاج في سيرة أنوشروان الذين ترجمها ابن المقفع ، وسيرة أردشير . وسيرة أنوشروان . اللتين ترجمهما أبان

اللاحقي . وبعضها مأخوذ عن السجلات الرسمية الفارسية . وهذه الكتب لها أثرها في كتب التاريخ العربي . وهي أصل لكل ما في الكتب العربية من تاريخ الفرس وأساطيرهم . فأخبار الساسانيين في الطبري مثلا مأخوذة منها . يثبت هذا مقارنة الكتب العربية بعضها ببعض وبالكتب الفارسية كالشاهنامه . فهذه الكتب على اختلاف مصادرها المباشرة تتفق في سرد التاريخ اتفاقا يؤدي الى الاعتقاد بأنها أخذت من أصل واحد .

(٣) كتب المواعظ والآداب والسياسة وما يتصل بها :

مثل عهد (أردشير بابكان) الى ابنه سابور . وعهد أنوشروان الى ابنه هرمز . وجواب هرمز اياه . ورسالة كسرى الى زعماء الرعية . وكتاب (زادان فرّخ) في تأديب ولده . وآيين نامه الذي ترجمه ابن المقفع . وقد أمدت هذه الكتب اللغة العربية بثروة من الحكم الأخلاقية والأقوال المأثورة تتجلى في مثل كتب ابن المقفع : كليلة ودمنة . والأدب الكبير . والأدب الصغير . واليتيمة . وهي أصل لكتب الأخلاق العربية التي ألفت من بعد . ومن هذا النوع الكتب التي عرفت باسم المحاسن ، أو المحاسن والمساوىء ، مثل : المحاسن لعمر بن الفرخان الطبري (في عصر المأمون) . والمحاسن المنسوب لابن قتيبة . والمحاسن والمساوىء للبيهقي . والمحاسن والأضداد للجاحظ . فهذه الكتب لها نظائر في الفهلوية ألفت حتى في العصر الاسلامي . وهي معروفة باسم شايد نشايد . أو (شايسة نشايسة) .

كتب التاريخ وكتب المواعظ لها أثر كبير على الأدب العربي بالمعنى الأخص . أعني الكلام البليغ نظمه ونثره ، فهذه الأساليب السهلة السهلة التي تقدم بها عبد الحميد وتلاه فيها ابن المقفع وغيره تأثرت بالأساليب الفارسية كما كانت موضوعاتها فارسية . وقد ذكر أبو هلال العسكري في الصناعتين وهو يحتج على أن البلاغة ترجع الى المعاني : ذكر أن الذين عرفوا لغات غير العربية نقلوا بلاغتها الى العربية في كتابتهم . وضرب مثلا بعبد الحميد الكاتب اذ أجدت على العربية بلاغته الفارسية . وأمر مآخر يرجع الى الشعر : هو الشعر المزدوج الذي نظم به أبان بن عبد الحميد كتاب كليلة ودمنة وغيره . فقد نظم شعراء الفرس فيما بعد كل ما نظموا من قصص في هذا النوع من النظم وسموه المثنوى . فلعل هذا النوع من أثر الفرس على اللغة العربية أيضا على قلة معرفتنا بحال الشعر عند الفرس قبل الاسلام .

« يتبع »

طرف من شعر السلاطين

هذه طرف من شعر سلاطين آل عثمان . وقد نبغ منهم شعراء كثيرون . ولبعضهم دواوين متداولة . وأعظمهم أثراً في الشعر بايزيد الثاني . ومحمد الفاتح . وسليم الأول . وسليمان القانوني . وسليم الثاني . (وكل واحد من هؤلاء أب لمن بعده) ثم مراد الثالث . ومراد الرابع . ولكل من هؤلاء السلاطين الشعراء اسم عرف به في الشعر فالفاتح « عدلي » وسليمان القانوني « محبي » وهلم جرا .

وقد يشوق القارىء أن يسمع الى السلاطين يتحدثون عن سرائرهم ليرى أن الدولة والسلطان لا يرفعانهم عن مستوى الآلام والآمال .

ومن يظن أن السعادة ملك وغنى وصيت وجاه وجبروت فليسأل سليمان القانوني . وارادته قضاء محتوم . وقوله في العالم قانون . ليسمع أن السعادة ليست ملك « سليمان » ، وأن العروش لا تسمو على الأشجان .

السلطان محمد الفاتح « عدلي »

أيها الساقي هات المدامة ! فيذهب البستان من اليد .
سيأتي الخريف ، وتذهب الحديقة والربيع من اليد .
أيها الحبيب ! أوف بالعهد ، ولا يغرنك الجمال والنضرة

° ° °

ياملكي ، قد جعلتني أسيراً في سلسلة طرتك .
ويارب لا تحرمني من هذه العبودية .
جور الحبيب ، وطعان العدو ، وحرقة الفراق ، وضعف القلب ،
لهذه الألوان من الآلام خلقتني يارب !
قد اجتمع على احراقي وهدى
حرقة القلب ، ونار الآهات ، ودمع العين .

السلطان بايزيد الثاني « عدلي »

يبدي لنا الفلك حيناً حاوفا .
ويتقلب حيناً فيبدل بالنعمة ألف نقمة !
ما عهدت من قبل تلك الآلام التي احتملت في سبيل العشق
وكذلك ترى هذه البدور العاشق ما لم يره
هأنذا أتعامل في طريق العشق غريبا !
والجيلات يتغامزن بي .

(البقية على صفحة ٣٨)